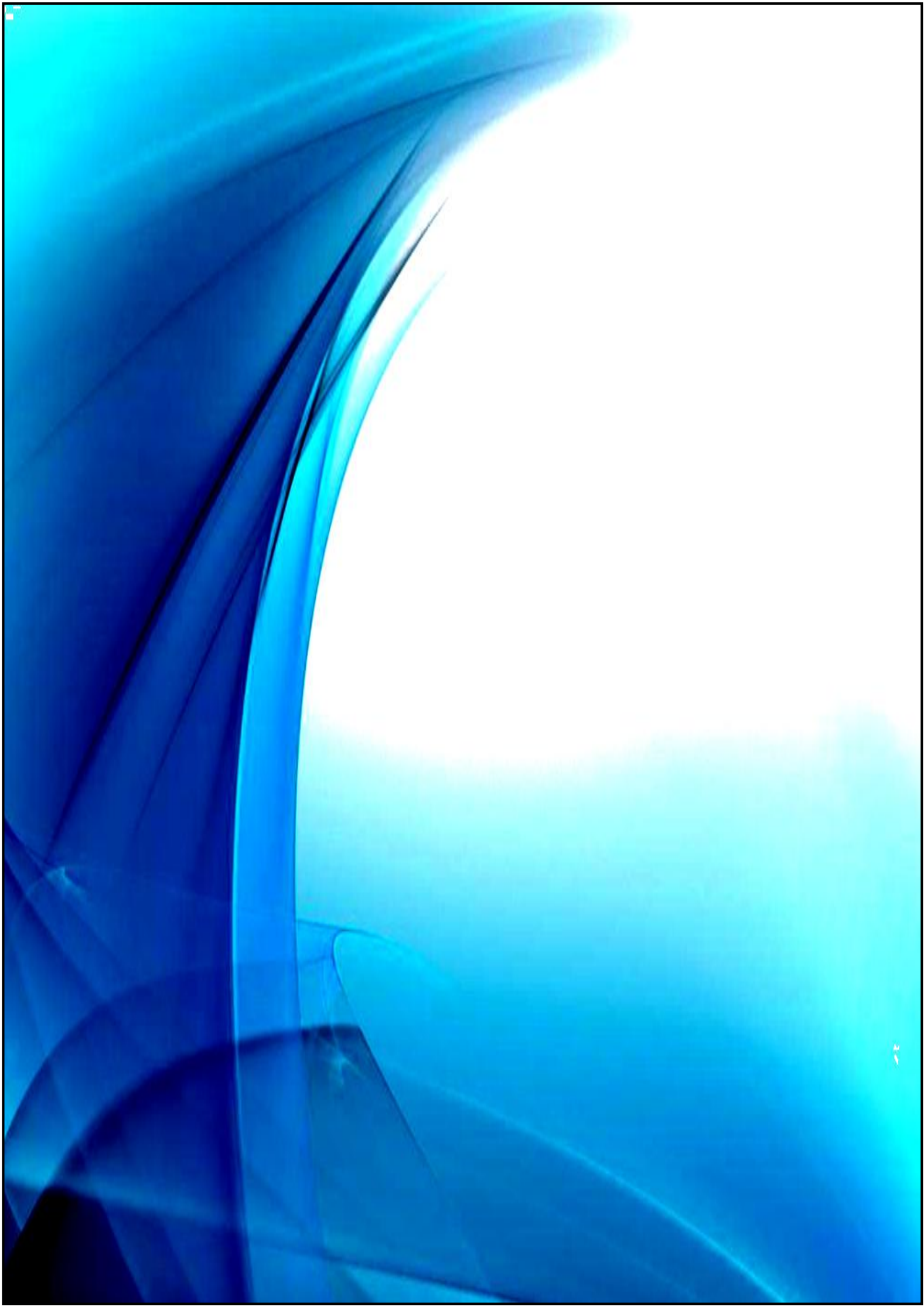


جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي

-تيسمسيلت-

المعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

في الآداب، الحقوق والعلوم السياسية، علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، العلوم الاقتصادية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية

المجلد الخامس عشر العدد 02 ديسمبر 2024

EISSN 2602-6376 ISSN 2170-0931

المـــعيار

مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات

مصنفة " C "

جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، تيسمسيلت – الجزائر–

شروط النشر وضوابطه

-المعيار مجلة علمية مصنفة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن جامعة بتيسمسيلت. الجزائر.

- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.

-ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.

- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.

- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.

- تتم الكتابة بخط (**Traditional Arabic**) حجم (**15**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (**14**).

- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة الفرنسية بخط (**Times new roman**) حجم (**12**)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم(**10**).

- تكون الهوامش والإحالات على طريقة أسلوب APA

- لا يقل حجم البحث عن **08** صفحات ولا تتجاوز **15** صفحة.

- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسئول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

المجلد الخامس عشر العدد 2 ديسمبر 2024
مجلة نصف سنوية متعددة التخصصات
مصنفة " C "
تصدر عن جامعة تيسمسيلت – الجزائر
توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz
جامعة تيسمسيلت. الجزائر.
البريد الإلكتروني: www.cuniv.tissemsilt.dz
EISSN 2602-6376 ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:
أ. د. دهوم عبد المجيد

المدير المسؤول عن النشر:
أ. د. عيساني امحمد

رئيس التحرير:
أ. د. مرسي رشيد.

نواب رئيس التحرير:
أ. د. واضح أحمد الأمين، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. العيداني الياس، أ. د. عطار خالد، أ. د. لكحل فيصل، أ. د. قاسم قادة، د. دهقاني أيوب، أ. د. بوسكرة عمر.

سكرتيرة المجلة:

عرجان نورة

هيئة التحرير:

أ.د. غربي بكاي، أ.د. قاسم قادة، أ. د. عطار خالد، د. صالح ربوح، أ.د. مصابيح محمد، د. بن رابح خير الدين، أ. د. بوسيف إسماعيل، أ.د. بوراس محمد، أ. د. شريط عابد، د. محي الدين محمود عمر، أ.د. روشو خالد، أ.د. العيداني إلياس، أ.د. فايد محمد

الهيئة العلمية:

من جامعة تيسمسيلت: أ.د. بن فريحة الجلالي، أ.د. أحمد واضح أمين، أ.د. تواتي خالد، د. ربوح صالح، أ.د. غربي بكاي، أ.د. بوركبة ختة، أ.د. طعام شامخة، أ.د. شريف سعاد، أ.د. يعقوبي قدوية، أ.د. مرسلي مسعودة، أ.د. بن علي خلف الله، أ.د. رزايقية محمود، أ. د. بوغاري فاطمة، أ.د. قردان ميلود، أ.د. يونسي محمد، **أ**.د.فتوح محمود، أ.د. عيسى حورية، د.بوصوار صورية، د. وسواس نجاة، أ. د. بوزيان أحمد، أ.د. بشير دردار، **من جامعة صفاقس، تونس:** أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوبكر بن عبد الكريم، **من جامعة المنصورة، مصر:** د. محمد كمال سرحان، **من جامعة طرابلس، ليبيا:** د. أحمد رشراش، **من الجامعة الأردنية، الأردن:** أ. د صادق الحايك، **من جامعة الجزائر 03، الجزائر:** د. فتحي بلغول، **من جامعة لمين دباغين، سطيف:** أ. د بوطالبي بن جدو، **من جامعة وهران:** أ. د. مخطار حبار، **من جامعة سيدي بلعباس:** أ. د. محمد بلوحي، **من جامعة سعيدة:** د. عبد القادر رابحي، **من جامعة تلمسان:** أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، **من جامعة تيزي وزو:** أ. د. مصطفى درواش، **من جامعة مستغانم:** د. منصور بن لكحل، **من جامعة زيان عاشور، الجلفة:** د. حربي سليم، د. علة مختار، عروي مختار، **من جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف:** أ. د حفصاوي بن يوسف، أ. د مويسي فريد، أ. د. بوراس محمد، أ. د. علاق عبد القادر، أ. د. روشو خالد، أ.د. مرسي مشري، د. لعروسي أحمد، د. قزران مصطفى، د. زرقين عبد القادر، د. محمودي قادة، أ.د. العيداني إلياس، د. عيسى سماعيل، د. بوزكري الجيلالي، د. ضويفي حمزة، د. كروش نور الدين ، د. بوكرديد عبد القادر، د. عادل رضوان. **من جامعة ابن خلدون تيارت:** أ. د. عليان بوزيان، أ. د. فتاك علي، أ. د. بو سماحة الشيخ، أ. د. بن داود إبراهيم، أ. د. شريط عابد. **UNIVERSITIE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE:** CRISTINE Mensson

كلمة العدد

السلام عليكم،

تطل عليكم مجلة المعيار ككل مرة في مجلد جديد وعدد جديد، يحمل في طياته مجموعة قيمة من المقالات العلمية، وكالعادة يتميز هذا العدد بمقالات من داخل وخارج الوطن التي تحوي الكثير من المواضيع المختلفة في شتى الميادين، سواء كانت أدبية، قانونية وسياسية، اقتصادية واجتماعية.

كل هذا ستجدونه في المجلد الخامس عشر، العدد الثاني.

إن هذه المجلة مجلتكم وإدارتها حريصة جداً على إرضائكم بما تقدمه من أبحاث ودراسات، نتمنى أن يلقى هذا العدد الذي بين يديكم استحسانكم .كما نسأل الله تعالى أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ييسر لنا الاستمرار في عملنا هذا

المدير المسؤول عن النشر
أ.د. عيساني امحمد

محتويات العدد

الرقم	الموضوع	الصفحة
	كلمة العدد أ. د. عيساني امحمد	هـ
01	أثر النّصوص الدّينيّة (قرآنا وسنّة) في بناء ملكة المتعلمين _التعليم المتوسط أنموذجا_ بلحنيش عبد الرّحمن -المركز الجامعي عبد الله مرسلي-تيبازة-الجزائر	16-1
02	أحداث 17 أكتوبر1961م في المسرح الجزائري المهاجر "أمسية في باريس لمجيد بن شيخ أنموذجا" دندان نور الهدى/ بن صفية اسماعيل -جامعة باجي مختار-عنابة-الجزائر	31-17
03	الازدواجية اللغوية وأثرها في تداول العربية الفصيحة -دراسة سوسيولسانية في اكتساب الفصحى لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية- أ. د رزايقية محمود -جامعة أحمد بن يحي الونشريسي –تيسمسيلت-الجزائر	43-32
04	التداولية بين المفهوم والإجراء في النقد الجزائري المعاصر نويجم علي/ هدروق لخضر -جامعة أحمد بن يحي الونشريسي -تسيمسيلت-الجزائر	54-44
05	الخطاب النسوي في الترسل بين الماضي والحاضر في الأدب العربي علة ثليجة /مختاري فاطمة -جامعة الأغواط-الجزائر	70-55
06	الرواية التاريخية والذاكرة الجماعية قراءة في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج ط. د. فليفلة كريمة/ د. عقال فاطمة الزهراء -جامعة يحي فارس المدية-الجزائر	86-71
07	العجائبيّة في كتاب "رسالة ابن فضلان في وصف الرّحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصَّقالبة" شدني سمية / يوسفي يوسف -جامعة تيارت، الجزائر	99-87
08	المناهج النقدية الغربية ورحلة تقويض القصيدة العربية د. رندي محمد -جامعة أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت-، الجزائر	111-100
09	تجليات الاستعارة العرفانية في شعر عقاب بلخير بوشلالق كمال / سعد الله زهرة -جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر	121-112
10	تَشَيُّؤ الإنسان: حين تتحول الرقمنة إلى دستوبيا رواية رف اليوم لـنجلاء العتيبي أنموذجا مسالي ليندة / جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر	137-122
11	تقنية القراءة السريعة ودورها في زيادة الإنتاج اللغوي لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط ط. د. نيشد بوعلام/ جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	149-138
12	جمالية الاستهلال النصي في رواية "الحماقة كما لم يروها أحد" لسمير قسيمي" شريف سعاد/ جامعة أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت، الجزائر	159-150
13	جمالية الانزياح الدلالي في قصيدة "تأملات صوفية في عمق عينيك" ليوسف وغليسي نيشد أمني / بوعزة عبد القادر-جامعة أحمد بن بلة1 وهران، الجزائر	174-160
14	حركة المعنى في سورة القارعة -مقاربة بلاغية- ميلاط إسلام / المركز الجامعي مغنيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر	191-175
15	حضور العجائبيّة في الرواية الجزائريّة .رواية عز الدين جلاوجي غنائية الحبّ والدّم .نموذجا- د. عمر شادلي / ط. د خديجة بن زاهية -المركز الجامعي آفلو، باتنة، الجزائر	203-192
16	دور القرآن الكريم في التطور الدلالي للمفردات " شعر صدر الإسلام أنموذجا " خديجة بن قويدر / أمين عليوة -المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة، الجزائر	218-204
17	دور دراسات الإعجاز في تشكيل الخطاب البلاغي العربي الجمعي شبيكة / جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر	234-219
18	سؤال الحرية والعبودية في رواية هاء وأسفار عشتار "لعزالدين جلاوجي" "مقاربة نقدية تأويلية" أمال ماي/ جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة ،الجزائر	243-235
19	علاقة النّحو العربي بالتّفسير أ. د. العربي بومسحة / جامعة أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت، الجزائر	257-244

20	قراءة أبي بَحْرِيَّة عبد الله بن قَيْس: دراسة لغوية أبو بكر الصدّيق مدّاح / جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة، الجزائر	269-258
21	مَظَاهِرُ الحِجَاجِ اللُّغويِّ في صَحِيفَةِ بِشْر بنِ المعتَمِرِ توفيق شعبان / المركز الجامعي مغنيَّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر	285-270
22	مقولات النقد الإيديولوجي للقصيدة الجزائرية السبعينية (مقاربة نقدية تطبيقية) رماس جميلة، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر/ بولعشار مرسلي، جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	294-286
23	نماذج من استدراكات الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الفقهية والمقاصدية جلال لمرد / محمد الشتيوي -جامعة الزيتونة، تونس.	307-295
24	**The Nature and Role of Linguistic Terms within Arab Culture** **Dr .Kerkour Ahlem / University of Mohamed Lamine Debaghin Setif 2 (Algeria),**	319-308
25	**Une Relecture Hermeneutique De La Nouvelle Les Freres De Mowgli De Rudyard Kipli** **Said HANOU Said /Université Ahmed Ibn Yahia Elwancharissi de Tissemsilt, Algérie**	332-320
26	أثر الحرب الروسية الأوكرانية على الأمن الغذائي العالمي د. بوشامة عبد الغاني/ جامعة الجزائر1 كلية الحقوق -الجزائر-	342-333
27	أثر مبدأ المشروعية في تحقيق الأمن القانوني عمار دروازي/ أ. د عدلي محمد عبد الكريم -جامعة زيان عاشور، بالجلفة، الجزائر	352-343
28	التناسب بين الميزة العسكرية والأضرار الجانبية في القانون الدولي الإنساني " العدوان على قطاع غزة أنموذجا " أ. د. روشو خالد/ جامعة أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت-، الجزائر	368-353
29	الذكاء الاصطناعي في الجزائر، بين المخاطر والمساهمة في تحقيق الأمن السيبراني ميمي جمال/ جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر1، الجزائر	384-369
30	الطبيعة القانونية للإدارة الإلكترونية في الجزائر ط. د / لخضر ميساوي / أ. د. عطاء الله بوحميدة -جامعة الجزائر1، الجزائر	399-385
31	الهجمات السيبرانية بين التحديات القانونية والأخلاقية والاستجابات الدولية براهيمي اسماعيل / جامعة البليدة 02-الجزائر	411-400
32	تجارة الرقائق الالكترونية عبر مضيق تايوان؛ بين المصالح الاقتصادية والتنافس السياسي جصاص لبنى / جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر	423-412
33	**Les Elections Communales Du 23 Novembre 2017 En Algerie : Enquete Sur La Representation Des Partis Politiques Dans La Wilaya De Tlemcen** **Kadi khayreddine / université de Tlemcen, Algérie**	433-424
34	**The Balance Between Executive and Legislative Powers in Light of the 2020 Constitutional Amendment: A Formal Equilibrium or an Embodiment of Democracy?** **Rital Salah / Relizane University, Algeria**	444-434
35	المقاولاتية الخضراء في الجزائر: تحليل للتجربة وتقييم للتأثير على المجتمع والبيئة- سعدي عائشة / جامعة أحمد بن يحي الونشريـــسي، تيسمسيلت، الجزائر	453-445
36	تمكين الانتقال الطاقوي في الجزائر في ظل تحيين المدونة القانونية محنون محمد / محمد كريم نورالدين-جامعة مستغانم، الجزائر	463-454
37	دراسة وصفية تحليلية لمؤشرات الحوكمة في الجزائر للفترة (1996-2022) نصاح سليمان/ بحي فاطمة- جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، عين الدفلى، الجزائر	478-464
38	دور تحليل سلسلة القيمة في تعزيز القدرة التنافسية لمنظمات الاعمال أ.د. العيداني إلياس/ أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت، الجزائر	495-479
39	صكوك الاستصناع الاسلامية واستشراف تطبيقها من طرف المؤسسة الوطنية للترقية العقارية " التجربة المصرية نموذجا" ط د: عناني سفيان / د. بن حدو فؤاد -جامعة أحمد زبانة غليزان، الجزائر	510-496
40	قياس أثر عدم تماثل تغيرات سعر الصرف على القدرة الشرائية للعمال في الجزائر دراسة قياسية باستخدام منهجية NARDLخلال الفترة (1990-2023) تومي بلال، جامعة لونيسي علي البليدة 2، الجزائر/ تومي محمد، جامعة سعد دحلب البليدة 1، الجزائر	526-511
41	**An Examination of Quality from the Providers' Perspective: A Study of Algerian Hotels** **Terkmani Meriem1/ Ghidouche Ait-Yahia Kamila - Ecole des Hautes Etudes Commerciales, Algeria**	538-527

42	**The role of generative artificial intelligence in enhancing risk management in the banking sector a case study of Barclays bank** **Hassini djazia, university of chlef, Algeria / Logab djilali, university of Tissemsilt, Algeria**	553-539
43	**أحوال وأوضاع المسلمين في تشريعات الكنيسة في الغرب اللاتيني (1000-1500م)** **د. برق الاغويني، جامعة الجلفة، الجزائر**	569-554
44	**اختطاف الأطفال بين الواقع والتهويل في المجتمع الجزائري من وجهة نظرا الأولياء** **د/ لطفي بوحوية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر/ /محمد بن حمّار، جامعة البلدة 02، الجزائر**	582-570
45	إدارة الوقت وعلاقته بجودة التعليم لدي تلاميذ الطور المتوسط-ولاية تيسمسيلت نموذجا ساسي هادف جبير، جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي-تيسمسيلت-الجزائر/ براهمي سعيدة، المركز الجامعي مرسلي عبد الله –تيبازة-، الجزائر	596-583
46	أزمة الثقافة الشعبية ومهمة الفلسفة مداح رزقي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر	606-597
47	**استخدامات الذكاء الاصطناعي في التعليم والضوابط الأخلاقية المنظمة لها** **قدور كرومي، المدرسة العليا للأساتذة الشيخ المبارك الميلي بوزريعة، الجزائر**	617-607
48	**الآثار السلبية للتغيرات المناخية في العراق-الهجرة الداخلية نموذجا** **ميران حسين، جامعة السليمانية – إقليم كوردستان، العراق**	633-618
49	**التنوير من منظور تيزفيتان تودوروف** **بوقفة أحلام/ أ. د عبد المالك عيادي-جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة -الجزائر**	648-634
50	**التوافق الأسري وعلاقته بقلق المستقبل لدى طلبة جامعة الشرقية بسلطنة عمان** **د. أمجد عزات جمعة، أستاذ علم النفس التربوي المشارك، قسم علم النفس، جامعة الشرقية، سلطنة عمان/ د. أمينة بن قويدر صمد، أستاذ علم النفس الإكلينيكي المشارك، جامعة الشرقية، سلطنة عمان/ هديل بنت بدر الشحي، هاجر بنت عبد الله الحبسي، هاجر بنت عيسى الحسني، طالبات بكالوريوس إرشاد نفسي جامعة الشرقية، سلطنة عمان**	665-649
51	**الحج كطقس عبور بقصر بوانجي -دراسة أنثروبولوجية لطقوس استقبال الحاج-** **خليفي غانية 1/ أ. د بلحسن مباركة -جامعة وهران 02 محمد بن أحمد، وهران، الجزائر**	681-666
52	**الصين من خلال كتب الرحلات الإسلامية: كتاب عجائب الدنيا وقياس البلدان أنموذجا** **كرطالي أمين، جامعة يحي فارس، المدية**	689-682
53	**الكفاءة الرقميّة للأستاذ الجامعي بين ضرورة التّحول الرّقمي وضمان جودة التّعليم** **مديحة دبابي، المدرسة العليا للأساتذة -مسعود زغار-سطيف، الجزائر**	704-690
54	**المخاطر المهنية في بيئة العمل وطرق تقديرها: بعض الطرق الأرغونومية التقييمية أنموذجا** **بلمجاهد خيرة، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر**	717-705
55	**آلية الرقمنة كاستراتيجية لتحقيق جودة الخدمات الصحية -دراسة نظرية تحليلية** **ط. د/ غربية محمد/ د. العيفاوي فريدة -المركز الجامعي مرسلي عبد الله –تيبازة-الجزائر**	731-718
56	**تجربة جامعة قسنطينة بالجزائر لتكوين الأساتذة حديثي التوظيف عن بعد أرضية مودل Moodle أنموذجا -الواقع والآفاق-** **د. ليلى قلاتي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر**	745-732
57	**تطبيق التعلم المصغر القائم على الوحدات التعليمية المصغرة الإلكترونية في ضوء الاتجاهات** **زازل فيروز/ جعلاب نور الدين التربوية الحديثة، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر**	759-746
58	**تطور الوسائل التعليمية في المنظومة التربوية، اللوحة الإلكترونية أنموذجا، دراسة ميدانية** **خديجة مكاوي، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر**	773-760
59	**تعليم الفلسفة للأطفال: بناء عقول مفكرة ومستقل.** **د. عمار طرابلسي، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر/ د. ديلمي راوية، جامعة المسيلة، الجزائر/ ط. د. سباغ مروة، جامعة حسبية بن بوعلي الشلف، الجزائر**	787-774
60	**توطين تقنية الواقع المعزّز في التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية-دراسة ميدانية بجامعة سكيكدة** **د. لبنى يسعد، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر**	802-788
61	**درجة استخدام تكنولوجيا المعلومات في تسيير المؤسسات التعليمية في ضوء متطلبات جودة التعليم** **ط. د. نحوي عصام/ أ. د. سلام هدى-جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2، الجزائر**	814-803
62	**دور جريدة المجاهد في مقاطعة استفتاء 8 جانفي 1961م** **د. حيفر مريم، جامعة باتنة 1، الجزائر**	827-815

63	الغرر وأثره في صيغة سكنات الوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره "عدل" هنان عبد القادر/ بن عمار زهرة -جامعة أحمد بن بلة 1، الجزائر	842-828
64	سيكوباتولوجيا الشباب وأزمة التكفل النفسي في الجزائر حامق محمد، جامعة ابن خلدون –تيارت، الجزائر	857-843
65	قاعدة ابن حجر في دفع علّة الاضطراب. على أحاديث صحيح البخاريّ مرابط فؤاد / أ. د بوشامة رضا-جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، الجزائر	870-858
66	مساهمة الثقافة التنظيمية بأبعادها (البعد التنظيمي، البعد الإنساني) في تحقيق تماسك فريق العمل بالمؤسسة الجزائرية-دراسة ميدانية بمؤسسة نفطال – تيارت- بلعربي عادل عبد الرحمان، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر	886-871
67	مستوى التنمر لدى طلبة جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي- د. عناب أميمة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر	900-887
68	واقع استخدام اللغة الانجليزية في البحث العلمي بالجزائر-دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران 01 سبتي سهام1 / بن عجايمية بوعبد الله -جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، أحمد بن يحيى الونشريسي	916-901
69	وظائف الإعلام التربوي ودورها في الارتقاء بالوعي الديني المجتمعي د. سامي حبيلي، جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، الجزائر/ أ. د. عمر مونة، جامعة غرداية، الجزائر	930-917
70	مستقبل التعليم في ظل التطور المتسارع لتقنيات الذكاء الاصطناعي: نحو مزاوجة خلاقة مع مزايا الذكاء البشري للاستفادة من التقنيات وتلافي مضاعفاتها رزين محمد، جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس، الجزائر	946-931
71	**Hate speech through cyberspace: a new strategy for escalating behaviour aggressive and seditious "Long title"** **SLIMANI Cherifa, Ibn Khaldoun University, Algeria**	960-947
72	**Human Rights in Rhetoric and Practice** **Bouchareb Fatima / Bassou Abderrahman -Abou Bakr Belkaid Tlemcen University, Algeria**	972-961
73	**The influence of digital technology on improving university professors' performance** **Zitouni Sabira , Morsli Abdullah University Center, Tipaza**	984-973
74	**The Politics of Location in Transnational African Diasporic Narratives: Shifting Homes in Tayeb Salih's Season of Migration to the North (1966)** **Bechani Fatima /Prof. kaced Assi - University of Algiers 2, Algeria -**	1000-985
75	**Une approche théorique des transformations sociétales selon Auguste Comte** **ketfi Yasmina, Université de Mohamed Boudiaf à M'sila, Algérie**	1008-1001

الرواية التاريخية والذاكرة الجماعية قراءة في رواية سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج

The Historical Novel and Collective Memory: A Reading of Sonata for the Ghosts of Jerusalem by Wasini Al-Araj



فليفلة كريمة [1*] د. عقال فاطمة الزهراء [2]

[1]جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية

flifla.karima@univ-medea.dz

2جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، مخبر تعليمية اللغة والنصوص

afatioumhalla732@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/10/06 تاريخ القبول: 2024/10/29

****

ملخص:

أضحت الرواية جنساً أدبياً يستوعب مختلف التمظهرات الثقافية والإيديولوجية، يطرح من خلاله الروائي قضايا مهمة جدا تتعلق بالواقع المعاصر، مستخدما في أغلب الأحيان قضايا تاريخية مهمة يمزجها بالخيال، تذهب أغلبها إلى إثبات ذات المؤلف وتأصيله لوطنه، كما هو الحال لكاتبنا واسيني الأعرج الذي اعتمد على الذاكرة والتاريخ في أغلب أعماله. تسعى هذه الدراسة إلى إبراز توظيف التاريخ والذاكرة في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس، وهذا بالتحديد ما سنقوم بتوضيحه وتتبعه من خلالها، فقد تم تسليط الضوء على رواية سوناتا لأشباح القدس، بهدف الوصول إلى كيفية توظيف الذاكرة والتاريخ في النص الروائي التاريخي، وارتكزت هذه الدراسة على محطات أهمها سرد التاريخ والذاكرة في الرواية.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة، التاريخ، سوناتا لأشباح القدس، واسيني الأعرج

Abstract:

The novel has become a literary genre that accommodates various cultural and ideological manifestations, through which the novelist raises very important issues related to contemporary reality, often using important historical issues mixed with fiction, most of which go to prove the author's self and his rooting for his homeland, as is the case with our writer Wassini Al-Araj, who relied on memory and history in most of his works. This study seeks to highlight the use of history and memory in the novel Crematorium Sonata for the Ghosts of Jerusalem, and this is precisely what we will clarify and trace through it, as the novel Sonata for the Ghosts of Jerusalem was highlighted, with the aim of reaching how memory and history are employed in the historical fiction text, and this study was based on the most important stations, the narrative of history and memory in the novel.

Keywords: memory, history, Sonata for the Ghosts of Jerusalem, Wasini Al-A'raj.

*المؤلف المراسل

مقدمة:

الرواية التاريخية، هي رحلة حياة بالنسبة للكاتب واسيني الأعرج وهذا ما كان يؤكده دائماً من خلال عدة تصريحات له حين كان يُسأل عن ذلك. فالأسباب التي دفعت واسيني، بشكل مباشر أو غير مباشر، إلى التوجه إلى الرواية التاريخية هو حياته الشخصية، فلقد ولد سنة 195، وهي السنة التي اندلعت فيها حرب التحرير، وتربى على قصص المجاهدين. وباعتباره ابن شهيد، فقد شهد اعتقال والده. الجنود الفرنسيون والحركى والأسلحة والتعذيب صور لا تمحى من ذاكرته. وهو يعتبر نفسه "أحد أبناء الحرب". وقد وضح في تصريح له في لقاء بمكتبة عنابة جمعه بمجموعة من المثقفين: " ليس لديّ ارتباط ثقافي بحرب التحرير، إنها تجري في دمي، إنها تجربتي. يعود الكاتب إلى دور والدته. أرملة بذلت كل ما في وسعها لضمان تعليم جيد لأبنائها. في البداية، كان واسيني الأعرج تلميذًا في مدرسة فرنسية، ويوضح أنّ تعلم اللغة العربية لم يكن سهلًا. فقد ألحقته جدته بمدرسة قرآنية صغيرة، ولم يكن أمامه سوى القرآن الكريم ليتقن اللغة ويتقن مستواه. قام واسيني بترميم هذه المدرسة القرآنية الصغيرة، التي تحولت فيما بعد إلى مسجد، مستخدماً موارده الخاصة. ويوضح للجمهور أنّ الحرب واللغة العربية هما العنصران اللذان حددا ميله للرواية التاريخية. "ماذا ستكتب؟ " وكيف ستحقق ذلك؟ يسأل. ويضيف: "مشاعري وما أحتفظ به في أعماقي عن تجربتي وعلاقتي بالحرب أقوى من اللغة، ولا أستطيع أن أنقلها. لذلك اتجهت إلى كتابة رواية تاريخية تبرز تجربة الأمة الجزائرية، تاريخنا المشترك" **(Bouledroua, 03 juillet 2022).**

وعن منهجية كتابة الرواية التاريخية شرح واسيني، المراحل التي تنطوي عليها كتابة الرواية التاريخية. يقوم الكُتّاب عمومًا بإعادة إنتاج المادة التاريخية الموجودة، معتمدين عليها ووضعها في نوع من "القالب" أو "النص الأدبي". بالنسبة لهذه الفئة من الكتّاب، تكون المادة التاريخية شائعة وموجودة بالفعل. هذا هو المنهج الذي اتبعه الكاتب الكبير جورجي زيدان على سبيل المثال. ولكن، من أجل إضافة لمسة من الإبداع وجذب القارئ إلى تفاصيل القصة، يجب على الكاتب، بحسب واسيني، أن يقوم أولاً بقراءات تقريبية ومتنوعة ومتناقضة. عليه أن يطرح عدة فرضيات ويبتعد قدر الإمكان عن الفرضية الواحدة التي سبق أن استكملها، وذلك من أجل الانغماس الكامل في الحقيقة التاريخية. وخير مثال على ذلك كتابه الشهير "كتاب الأمير" الذي أسال الكثير من الحبر. والذي كتبه بعد أربع سنوات من البحث، فأصبح من كبار المتخصصين في الأمير عبد القادر.

يزعم واسيني الأعرج أنه استند إلى كتب وأطروحات وأرشيفات في الجزائر وفرنسا، وهي خطوة أولى معقدة ولكنها رائعة. ويصر على أنّ "التاريخ ليس منقوشاً على الحجر ومحدداً سلفاً للاستهلاك، فهناك قراءات متعددة للتاريخ". ومن وجهة نظره، فإنّ استقلالية المؤلف هي مفتاح النجاح. أما المرحلة الثانية فهي "تفعيل أنا المؤلف". يقوم الروائي، بعد أن يكون قد قرأ الكثير من القراءات حول موضوع الرواية، بإجراء مقارنات لإبراز التناقضات... كل ذلك للوصول إلى "بناء". وهذا ما يمكّن الروائي من الانتقال إلى المرحلة الثالثة التي تتضمن دمج المادة التاريخية المبنية في النص الأدبي. "إنه عمل شاق. في كتاب الأمير، كان عليَّ أن أواجه فرضيات متناقضة، وأبرزت صفاته كقائد وشجاعته وكاريزميته".

ويضيف: "الرواية التاريخية مسؤولية كبيرة. على المؤلف أن يشارك في عملية كتابة التاريخ، ولا يتركها للسياسيين، عليه أن يكون مسؤولاً لأنه تاريخ أمة" **(Bouledroua, 03 juillet 2022).**

ومن بين القضايا المهمة التي أثارت اهتمام الكاتب واسيني الأعرج القضية الفلسطينية والتي أخذت اهتماماً كبيرا في الرواية العربية، لأنها قضية الأمة العربية والإسلامية وقضية إنسانية قبل كل ذلك، فأراد كاتبنا وضع بصمته فألف رواية كريماتوريوم سوناتا أشباح القدس سنة2009، وهي من بين النصوص الروائية السردية التي تحدثت عن معاناة الشعب الفلسطيني الذي حاول المحتل الصهيوني تهجيره ونفيه، تروي قصة شعب أنتزع من أرضه وشُرِّد من طرف العدو، يعيد واسيني الأعرج تحليل المأساة من خلال حياة الرسامة الفلسطينية "مي" التي لم يتجاوز عمرها الثماني سنوات آنذاك، فتضطر لمغادرة أرضها هربا من اضطهاد الهاجاناه (الجماعات الصهيونية المسلحة)، إلى أمريكا مع والدها حيث خالتها "دنيا" في نيويورك، لتعيش حريتها وحياتها بعد استحالة عودتها إلى القدس. تتذكر "مي" ماضي مدينتها بكل تاريخها وذكرياتها، وتتمنى العودة إلى طفولتها المسروقة عندما تصاب بمرض سرطان الرئة فتعود بذاكرتها إلى ذلك المكان البعيد والذي عاشت فيه طفولة سعيدة قبل مجيء المحتلين، تتمنى أن تموت في وطنها، لكن القوات الإسرائيلية رفضت هذا الحق، تموت "مي" فتترك وراءها وصية لابنها "يوبا" تطلب منه أن يحرقها ويضع رمادها في مكان طفولتها بالقدس .

القضية الفلسطينية هي قضية شائكة، بدأت بفرض الانتداب الإنجليزي التحالف مع الحركة الصهيونية لبناء وطن قومي لليهود على الأراضي الفلسطينية، ومن هذا المنطلق سعت بعض الأقلام أن تؤسس للتاريخ والذاكرة من خلال بعض الأعمال الروائية، وصفت الاستعمار الاستيطاني والإرهابي الذي مارسته الحركة الصهيونية والتي ما زالت تحاول القضاء على المقومات الثابتة من تاريخ ودين ولغة... ونظرا للعلاقة الوطيدة بين الجزائر وفلسطين ساهم النص الروائي الجزائري سرد الأحداث المأساوية في تلك الأرض الطاهرة، بوضع القارئ أمام وقائع تاريخية مهمة في تاريخ فلسطين بدءاً بمأساة النكبة..

يشتغل الروائي واسيني الأعرج في روايته **كريماتوريوم** سوناتا لأشباح القدس على استرجاع التاريخ بالعودة للماضي بطريقة إبداعية تخييلية بسرد الأحداث، ويستعمل الذاكرة لمراجعة الحدث وكأننا في ذلك الزمن، كما أنه يستحضر الأندلس من خلال بطلة الرواية عندما تنشد أنشودة أندلسية كانت تسمعها من جدها.

في هذا المقال سنحاول دراسة علاقة الرواية بالتاريخ، وتحديد طرق توظيف واسيني الأعرج لتاريخ القضية الفلسطينية بالرجوع إلى زمن النكبة من خلال شخصية "مي" الفنانة التشكيلية العائدة من نيويورك إلى القدس باستحضار ذاكرتها لفترة الطفولة السعيدة في مدينتها المسلوبة، والمهم من خلال هذه الدراسة أيضاً هو أن نجد علاقة التاريخ والذاكرة بمكونات البنية السردية أي كيف اشتغلّ واسيني الأعرج في صنع مادته الرّوائية؟ وكل هذه التساؤلات سنحاول مقاربتها استنادا إلى الرواية المختارة للدراسة.

1. الذاكرة والتاريخ:

عرف مفهوم الذاكرة تعريفات متعددة في مجال البحث، فكل تخصص يعرفها بطريقة مغايرة عن غيره من التخصصات، فعالم الأعصاب يركز على دور الأعصاب وأهميتها والتي يعتبرها مواد الذاكرة. ومن جانب آخر نجد علماء النفس اهتموا بمجال علم النفس والعاطفة، بينما علماء التاريخ يرون في الذاكرة مصدرا موثوقا للكتابة التاريخية. فالذاكرة من هذا المنطلق هي تحوير للماضي على رهانات الحاضر، وبهذا فهي ليست مجرد وديعة متخاذلة لأحداث الماضي بل هي عملية نشطة لخلق المعنى في الحاضر (بورايو، 2024، صفحة 22)، وبهذا تظل الذاكرة واسطة معرفية لا تشير إلى الماضي فحسب بل إلى المستقبل اللاحق، فنجد أنصار المدرسة الوضعية يربط بين الذاكرة الشخصية والماضي التاريخي، فالتذكر في نظرهم الذي يقوم به المؤرخ مدخل إلى إثبات بوجود للذاكرة وماضي تاريخي يمكن توضيح بعض أحداثه. يرى المفندون أن الذاكرة الشخصية ليست مؤهلة لاسترجاع الأحداث كما حدثت، فهي مثلها مثل المعرفة التاريخية، تتبع الحدث بناءًا لقدرة المتذكر على إعادة صياغتها من جديد.

الذاكرة والتاريخ حسب الباحث محمد حبيدة في مقاله بمجلة "يتفكرون" مفهومان يتناقضان في توهم الواقع، لكنهما يتكاملان في توضيحه فالذاكرة تمثل ما احتُفظ به في أذهان الناس من ماضي وما يتصورونه حول هذا الماضي، ومجموعة الذكريات لا تجدد حصيلة الماضي بل تعرض أفكار الناس لنقل هذا الماضي فتبقى مجرد صورة تختلط بالخيال. تتسم الذاكرة بالاحتفالية ولذلك تندمج في تخليد الماضي والاحتفال بالحاضر مثل إحياء أعياد الاستقلال واندلاع الثورة.

أما التاريخ يقف على المعالجة المنهجية، الموضوعية، على نسبية أنه ترتيب للماضي، كما قال لوسيان فيفر، وأكده جاك لوغوف: "إنه بناء إشكالي لهذا الماضي"، انطلاقا من عملية فكرية تسعى للتحليل والنقد وهذا البناء الإشكالي أو هذا الترتيب لا يأتي إلا بواسطة جهد متعدد المحطات أو اللحظات، لحظة إقامة البرهان الوثائقي، ولحظة الفهم والتفسير، ولحظة الكتابة وهذه اللحظة الأخيرة هي التي تبرز بالقوة الاستعصاءات الكبرى للذاكرة، استعصاء تمثيل شيء غائب وقع سابقا، واستعصاء ممارسة مكرسة للاستذكار النشط للماضي والتي يرفعها التاريخ في مستوى إعادة البناء، حسب بول ريكور (حبيدة، 2013، صفحة 52).

حلل بول ريكور في كتابه الذاكرة، التاريخ، والنسيان، العلاقة بين المفهومين الذاكرة والتاريخ، فالذاكرة ليست في حالة التلقي مع التاريخ، فالنسيان هو الوجه السلبي للذاكرة. واختلاط بين الخطاب التاريخي وخطاب الذاكرة يطرح مسائل ومشكلات متعددة. فالذاكرة هي أساس وطريقة ونظام التاريخ، استثناؤها وإخفاؤها في بعض الأحيان يجعل من التحليل التاريخي أمرًا متعباً وقاسيًا. وهنا يسود النسيان وفي الغالب خطاب وعمل الذاكرة يعارضان العمل التاريخي.

"فالذاكرة حياة، تحملها دائما جماعات حية، وهي على هذا النحو في تطور مستمر، مفتوحة على جدلية التذكر والنسيان، غير مدركة لتشوهاتها المتتالية، وعرضة لكل الاستعمالات والتلاعبات، وقابلة للكمون الطويل والانتعاش المفاجئ" **(Nora. Pierre, 1984, p. 674).**

2.من الرواية إلى التاريخ:

يثير التقاطع بين الرواية والتاريخ مجموعة من القضايا الجمالية والشعرية. فالرواية مكان متميز للكتابة التاريخية. على هذا النحو، يكمن غنى النص الأدبي في قدرته على الاستفادة من المرجعيات التاريخية والتلاعب بها. ومن المفارقات أنّ التاريخ والرواية يتسمان بنوع من التكامل. فالأدب يستعير مادة من التاريخ، بينما يستعير التاريخ أدوات سردية وأسلوبية من الرواية. يهدف التاريخ إلى تقديم سرد كامل لأحداث الماضي، بينما يبقى حتمًا مرجعيًا في البعد السردي للخطاب التاريخي. فالأدب يخاطب المتخيل من خلال سرديات خيالية تستعين بمرجعيات تاريخية، وتثير قضايا تنطوي على الإحالة إلى الواقع."العلاقة بين الرواية والتاريخ لا تزال موضع خلاف وجدل مستمرين بين الروائيين والنقاد، ذلك أنّ الرواية يمكن أن تكون مصدراً من مصادر التاريخ، كما أنّ التاريخ يمكن أن يكون مرجعاً للرواية ومصدراً تستقي منه موضوعاتها وتستلهم من خلاله شخصياتها" (بوحفص، 2021، ص 507). لا يضع الكتّاب أنفسهم في علاقة بالتاريخ، بقدر ما يفرض التاريخ نفسه عليهم دون علمهم، وفي حين أن هدف المؤرخ هو تشييء التاريخ، فإن هدف الكاتب هو إضفاء الطابع الذاتي عليه. إنّ التأريخ هو إحدى الخصائص الأساسية للنص السردي ما بعد الحداثي، الذي يتحدد أساسًا بطابعه التاريخي الصريح، حيث يقوم بتنظيم العلاقات بين الماضي والحاضر، ولا سيما من خلال عمل الذاكرة الفردية والجماعية. هناك نموذجان أساسيان لتمثيل الماضي أو التاريخ في الرواية: في معظم الروايات التاريخية، يكون الراوي العليم هو المسؤول عن المراجع التاريخية وتمثيل الماضي، ووظيفته الأساسية هي إنتاج "تأثير الواقع". " إذا كان التاريخ سيقطع كل الروابط مع الكفاءة الأساسية التي نمتلكها لمتابعة قصة ما ومع العمليات الإدراكية للفهم السردي، ... فإنه سيفقد طابعه المميز في حفل العلوم الاجتماعية'**(Paul Ricoeur 1983, P.165).**

كما يمكن أن تتولى شخصيات أخرى أو شخصية الراوي-الراوي العليم مسؤولية السرد، وتنتج تمثيلاً أكثر ذاتية أو مجزأة للماضي. في هذه الحالة، يتم بناء المرجعية التاريخية من الذاكرة الفردية أو الجماعية، التي تتولاها الشخصية أو الراوي. "أخيرًا، يسلط هذا الاقتباس الضوء أيضًا على أهمية الفهم السردي في البحث التاريخي. فالمؤرخون لا يجمعون الحقائق فحسب، بل يسعون أيضًا إلى نسج هذه الحقائق في روايات توفر فهمًا أفضل للماضي. وباختصار، يسلط هذا الاقتباس من بول ريكور الضوء على الصلة العميقة بين السرد والتاريخ بوصفه تخصصًا في العلوم الاجتماعية" **(Benyakoub,2022/2023,p16).**

وبالتالي، فإن اختيار هذا النموذج أو ذاك لتمثيل الماضي ليس قليل الأهمية بقدر ما يعبّر عن موقف جمالي تجاه الماضي. "ولقد تنبه الدّارسون منذ وقت مبكّر إلى أنّ الرواية التاريخية مهما سعت إلى التوغّل في الماضي تظل على صلة بالحاضر لا يمكنها أن تتملّص منها. وقد نظر الأخوان غونكور (Goncours) إلى المسألة من زاوية التتابع، فقالا إنّ الروائي هو مؤرّخ الحاضر. وميّزا بين المؤرّخ والروائي بحسب الزمن الذي يرتبط به كلّ منهما، وبناء على الفرق بين الوقائع المندرجة في سياق الزمن، والوقائع التي تحاكي ما كان وتصف ما يجوز أن يكون، فقالا إنّ "التاريخ هو رواية ما كان، والرواية تاريخ ما كان يمكن أن يكون"" (القاضي، 2008، ص 26).

3.الذاكرة والتاريخ في الرواية الجزائرية:

إنّ التفكير في الأحداث في الأدب الجزائري يقود الناقد دائما إلى حبسة بسيطة تحصر كل العمل الشعري في قضية وحيدة هي قضية الواقع الاجتماعي والسياسي. وإذا كانت الجزائر لا تزال متشبثة بصور حرب استقلالها وأحداث التسعينيات العنيفة التي عرفتها في التسعينيات، فإن أدبها قد استكشف، ولا يزال يستكشف، مواضيع أخرى غالبا ما يتم تجاهلها لصالح تحليل العلاقة بين التاريخ والرواية بحكم بعده التاريخي، يندرج الأدب الجزائري في إطار معالجة خاصة ليس للتاريخ بل لتلقيه، وبمعنى أدق لتلقي الفرد والكاتب له. لا يمكن للرواية الجزائرية أن تستغني عن علاقتها المتضاربة مع التاريخ، لكنها لا تُختزل فيه. لطالما كانت علاقة التاريخ بالتاريخ علاقة متناقضة مع الرواية، ولكن يجب ألا ننسى أن التحدي الرئيسي لكتابة الرواية هو الخلق والإبداع.

" لا شك أنّ التاريخ شكّل مصدراً أساسياً **لدى** العديد من الروائيين الجزائريين الذين عادوا إليه لاستلهام أحداثه وشخصياته ومضامينه، وقاموا بتوظيفها في أعمالهم الروائية برؤى موضوعاتية تعبّر عن نظرات الكتّاب إلى التاريخ في حد ذاته. لذلك جاءت أعمالهم تحمل مواقف فكرية لهذا التاريخ"(سنوسي، 2024، ص 55).

كيف يمكن للمؤلف أن يطلق العنان لخياله الروائي عندما يُطلب منه أن يكون مخلصًا للواقع بشكل شبه حصري؟ "إنّ التفكير في التاريخ كقراءة-تحليل وحيد للرواية الجزائرية هو اختزالها في انعكاس باهت للأشياء، وبالتالي حرمانها من أي حرية في إعادة صياغة التاريخ وذاكرته. إن التاريخ يفرض نوعين من الذاكرة: الذاكرة الجماعية التعسفية التي تحيط بالذكريات المشتركة باعتبارها دوكسا معيارية ونقاط مرجعية زمنية دقيقة؛ والذاكرة الذاتية التي هي أكثر فردية وتسمح لكل فرد بقراءة التاريخ ليس من حيث نقاطه المرجعية بل من حيث نقاطه المرجعية الأكثر حساسية للذاكرة الشخصية"-**(Tebbani Alaouache,2014, p.48).**

يمكننا القول أنه بهذه الطريقة، تنشر الذاكرة علاماتها الخاصة التي تصبح، من خلال وسيط التخييل، تحليلات وعلامات أخرى دقيقة للسرد. يُحول المؤلف التاريخ؛ فهو لا يستطيع أن يكون مخلصًا له. إنه يحوله لكي يجعله يتكلم بوضوح أكبر، ولكي يقدّمه بكل عريه الخام، ليس عري الواقع بل عري الصورة الأكثر حيوية، مما يجعل الرواية لا تصبح مرآة بل نافذة مفتوحة، مكان عبور بين ما هو حقيقي وما هو محسوس، بين ما يُرى وما يُنظر إليه .

" لقد اتخذت الرواية الجزائرية تيمة التاريخ مادة أساسية في تشكيل بناء معماري سردي يقوم على المزاوجة بين التاريخ (المرجعية الواقعية للأحداث)، وبين التخييل (الخطاب السردي المتخيّل)، حيث تمكّن الكثير من الروائيين الجزائريين كتابة نصوص سردية متميزة، تحمل توجهات وأراء فكرية للعديد من القضايا التي مست/تمس واقع المجتمع الجزائري. وقد حققت بعض هذه النصوص إشادة بمستوى الكتابة والتشكيل السردي على المستوى العربي، حيث فاز الكثير من الكتاب الجزائريين بجوائز عديدة على غرار: رواية (مملكة الفراشة) لواسيني الأعرج الذي فاز بجائزة كتارا للرواية العربية... وكذلك حصوله

مؤخراً على جائزة (نوابغ العرب) وهي جائزة مهمة بالنسبة للأدب الجزائري عموماً والرواية الجزائرية على وجه الخصوص"(سنوسي، 2024، ص59).

بعد أن وضعنا أسس تحليل التاريخ في الرواية الجزائرية، يجب ألا ننسى أن حرية المؤلف لا تزال حاضرة بقوة في الرواية الجزائرية. ولهذا السبب فإن حرية المؤلف وحدها هي التي تحدد ما إذا كانت الرواية جزءًا من الذاكرة الجماعية التاريخية أم لا. ويبقى السؤال: لكي تكون كاتبا جزائريا، هل يجب أن تندرج الرواية الجزائرية ضمن الرموز التعسفية للرواية التاريخية؟ ألا يجب أن يُسمح للرواية بنفس الحرية التي تتمتع بها القصيدة؟ حرية الخلق والبناء في يوتوبيا الذاكرة التي تظهر وتتكشف في طرح الذاكرة المفردة أو "الريميموار" الاستذكار، كما يقترح مراد جبيل. على هذا النحو، لم تعد الرواية تذكّرًا للماضي، بل إعادة صياغة لتراثه وقراءته. يجب أن يُصنع الماضي عندما يكون مشوهًا ومليئًا بنفس الطوبويات، يجب أن يصبح ما تسمح له الفابولا بأن يكونه. ليس إعادة صياغة ملموسة، بل خلقًا طوباويًا يؤمن بإمكانية إعادة صياغته، وإعادة تشكيله، والتعبير عنه ببساطة في الكلمة غير المحسوسة التي لا تستطيع أن تنقل كل شيء بل توحي فقط. زمن الرواية ليس زمن التاريخ. " إنّ دور الذاكرة أمر بالغ الأهمية، سواء في المجتمعات بشكل عام أو في الأدب بشكل خاص، حيث أصبحت الذاكرة نقطة مرجعية أساسية وضرورة أخلاقية وشعرية لفهم الماضي. منذ عدة عقود حتى الآن، أصبحت القضايا المتعلقة بالذاكرة حاضرة بشكل متزايد في الأدب والشعر"**(Ibtissam Tebani, 2024, p. 112-113).**

"تتناول الرواية الماضي من أجل إعادة صياغته بشكل أفضل، وتتناول الشريعة من أجل أن تجعل الناس يصغون بشكل أفضل، وتتناول التأمل من أجل أن تدونه بشكل أفضل. الرواية التي تتحدث عن الحرب ليس من الضروري أن تصفها، الرواية التي تتحدث عن الإرهاب ليس من الضروري أن تظهرها، كل ما عليها فعله هو أن تسمح لموقع معناها أن يتكشف، محولة تركيزنا من صدق ما تنقله إلى المنطق الزمني والتسلسل الزمني لما تخترعه. لم يعد الأمر يتعلق بمعرفة ما يشير إليه، بل بفهم السبب الذي يجعله منطقيًا. إنّ القراءة-التحليل الأكثر شعرية تعيد للنص كل أدبيته (أدبية جديدة). يتحرك الأدب الجزائري الجديد بين ذاكرة الحدث وخرافة الحكاية، مؤذناً بميلاد شعرية جديدة. هدفنا هو تبيان كيف تتموضع الرواية الجديدة بين ذاكرة الحدث الضرورية وحكاية السرد بوصفها رواية للتاريخ"-**Tebbani) . Alaouache,2014, p.48)**

3. الذاكرة الجماعية والتاريخ في رواية سوناتا لأشباح القدس:

اعتمد الروائي واسيني في رواية سوناتا لأشباح القدس على ثلاثة فصول فكان الفصل الأول بعنوان عطش البحر الميت أما الفصل الثاني مدونة الحداد، والثالث سوناتا الغياب. فعمل الكاتب على المزج بين الذاكرة والتاريخ من خلال سرد الأحداث، فبداية الرواية تتذكر "مي" جدها الأندلسي الذي مات منذ زمن ولم تنساه أبدًا أحست أنه يناديها نحو أرض ضائعة «أغنية عزيزة على قلبي وهي ما تبقى من ذاكرة سرقت مني" (الأعرج، 2009، ص 26). تعود بها الذاكرة إلى الطفولة في شوارع القدس وتربتها وحجارتها وشتاءها الدافئ وصيفها البارد قبل أن تأخذ منها أرضها وتنفى إلى مدينة نيويورك.

تذكرها القديم وآلامها التي مضت عليها سنوات وهي تكلم بياض لوحتها والألوان وذاكرتها المجروحة تعسر عليها شملها كلما رممتها من جهة انشقت في جهة أخرى، ومن خلال قالب موسيقي تعبر عن أحلامها تبحث على لون مدينتها المسروقة في جرحها، وتصف القدس بقلبها ودينها وإيمانها وأنّ حيطانها وأشجارها ليست للمبادلة. صرخة "مي" الدائمة كلما هاجمتها الذاكرة وانغلقت عليها سبل الدنيا. (الأعرج، 2009، الصفحات 26-27).

ومن خلال الفن التشكيلي والموسيقي أعادت بطلة الرواية "مي" ذاكرة مدينتها القديمة المتوعدة بالنسيان، وهي تبحث عن أمكنتها وسط حلقة من الألوان المختلطة، شبيه بألوان قوس قزح التي ذكرتها بفراشات القدس الغائبة. فتعلقها وميلها لرسم يرجع إلى معلمتها طانت جينا وصديق الطفولة يوسف " لا أدري إذا ما كان لذلك دور في توجهي النهائي نحو الألوان، لكني في أعماقي كنت دائما أشعر بنفسي مدينة لطانت جينا التي علمتني مزج الألوان واستنطاقها، وليوسف الذي فتح عيني على التفاصيل التي لم أفهمها إلا متأخرة (الأعرج، 2009، الصفحات 138-142).

فقد وجدت "مي" متعة في الرسم، ومع الزمن أصبحت تحب درس الرسم أكثر من كل الدروس الأخرى، أحيانا تشعر بأنها مطالبة باسترجاع أرض سرق منها اللون، فهي متفرقة بين أوطان عديدة وطن أخذ منها بالقوة اسمه فلسطين، ووطن منحها الحرية اسمه أمريكا، ووطن اسمه الطفولة توقف عن النمو ليسير نحو الخوف والضمور. مي لجأت إلى لوحات الرسم لتنسى معاناتها وآلامها وحنينها للقدس، فكل سنوات عمرها لم تحاور إلا اللوحة والألوان وذاكرتها المقطعة والجريحة التي تعسر عليها جمعها.

أما الفن الموسيقي فنجده مذكورا في الرواية من خلال شخصية "يوبا" ابن "مي"، الذي كان يدرس عن مقطوعة "سوناتا" ليهديها لأمه قبل وفاتها ليزيل عنها الهم "...هذا هو بالضبط مفصل السوناتا التي تجسد أحلام مي و هي تفتش في جرحها عن لون لمدينتها المسروقة " (الأعرج، 2009، ص 33)

تسترجع مي اللحظات الجميلة مع والدتها عندما كانت في رحلة متوجهة إلى نيويورك ارتمت في حضن والدها وحاولت أن تنام أحست بغياب أمها، استرجعت أغنية أمها الحبيبة":

نامي نامي يا مانو

أسرق لك من الثلج فستانُه،

وأقطف لك من قزح ألوانُه،

وحياة ربي سبحانه

لأعطيك قلبي ووجدانه (الأعرج، 2009، ص 197).

كما أنّ "مي" كانت تغني ل "يوبا" نشيد جدها لديار الأندلس وهي أنشودة تعبر أيضا عن الحرقة والمعاناة والوجع، وافتراقها عن الأحبة والوطن" :

ليام تمرض وتبرا، والصبر هو

دواها...

آه...يا أسفي على ما

مضى.

من ذاك الزمان اللي فات

وانقضى...

آه يا فرقة الديار، ديار الأندلس

ما هانوا عليّ... ما هانوا عليّ..." (الأعرج، 2009، ص 28).

ولقد صاغها واسيني الأعرج باللغة الدارجة الجزائرية القريبة إلى الموشحات الأندلسية، رابطا بذلك بين الأندلس والقدس. وكما عودنا دائما في رواياته فإنّ كاتبنا يستحضر دائما شخصيات من التاريخ باستخدام أسماء، مثل اسم "يوبا" الذي يمثل اسم حاكمين للجزائر النوميدية، "يوبا الأول" و""يوبا الثاني" اللذين حاربا الرومان، وهذا إن يرمز فهو يرمز للشجاعة والإقدام. شجاعة "يوبا" بطل الرواية في رفع التحدي بأن حمل رماد جثة والدته إلى القدس لرميه في حواري المدينة، والدته التي تمنت أن تُدفن فيها وللأسف لم تتمكن من ذلك، فما كان عليه إلا أن يحقق لها أمنيتها.

" وكأنّ خريطة المدينة القديمة كلها ارتسمت في ذهنه أبديّاً. كنت أبعثر رماد أمي المعجون بنوار البنفسج البرّي، كمن يزرع حقلاً ميتاً بسماد الريح، من حيّ المغاربة الذي أصبح امتداداً للحيّ اليهوديّ، حتى مقام سيدي بومدين لمغيث. أوقفني عسكريّ إسرائيليّ وسيم، مدّجج بالأسلحة، عند حائط البراق وقال لي: ماذا تفعل: قلت أخطّ طريق أمّي حتى حائط البراق ومقام جدّها الأول. ابتسم. لا بدّ أن يكون قد ظنني مجنوناً..." (الأعرج، 2009، ص11).

تذكرنا رواية سوناتا لأشباح القدس بأحداث سقوط الأندلس، كأنّ التاريخ يعيد نفسه وما حدث من مذابح للمسلمين من قبل محاكم التفتيش، والذي دفعهم للهروب والهجرة القسرية إلى بلدان أخرى تاركين وراءهم الأرض التي عاشوا فيها وحضارة بناها أجدادهم، وذلك يحدث مرة أخرى في فلسطين، يتحدث الكاتب عن ذلك مشيرا إليه من خلال حوار "يوبا" مع والدته "مي" حين سمعها في إحدى المرات وهي تغني أغنية أندلسية فطلب منها الاستمرار في الغناء فقالت له: "صوتي كئيب، جدّي مات وشبع موتاً وآن له أن يرتاح من مذابح الأندلس وأن يريحني معه.." (الأعرج،2009، ص 26).

يتحدث "يوبا" عن جدّ أمه المدعو "بومدين الأندلسي المغيث" وكأنّ واسيني الأعرج يستحضر شخصية تاريخية مهمة وهي سيدي بومدين التلمساني وتاريخه في محاربة الفرنجة مع القائد "صلاح الدين الأيوبي"، يذكرنا بحارة المغاربة التي ما زالت إلى يومنا هذا وإن احتل جزء كبير منه من قبل الصهاينة " من حي المغاربة الذي أصبح امتداداً للحي اليهودي، حتى مقام سيدي بومدين لمغيث"(الأعرج، 2009، ص 11) . "عندما انتابني جدّي من أمّي "سيدي بومدين لمغيث الأندلسي" (الأعرج، 2009، ص 7)

يتحدث الكاتب على لسان الراوي عن خيبة الأمل التي أصابت الشيخ سيدي بومدين لما يحدث في فلسطين من تمزق أهل القدس الذين طالما عاشوا في تآلف (مسلمين، مسيحيين وحتى يهود)، ويقال أنّ الشيخ رحل من مدينة القدس. "وقيل إنه امتطى دابته، وفي رواية أخرى، فراشته، ورحل عن المدينة التي خذله أهلها، بدون أن يلتفت وراءه، باتجاه بلاد المغرب ليموت للمرة الأخيرة على مداخل مدينته

الأندلسية التي كانت تملا رؤاه كلّما ضاقت سبل الدنيا عليه" (الأعرج،2009، ص 8). وكأنّ واسيني الأعرج يذكرنا بجرحنا الغائر والمتمثل في ضياع الأندلس، والذي يتكرر معنا بضياع فلسطين. لقد ربط الكاتب بين القضيتين كأنّ ضياع الأندلس قد مهدّ لضياع القدس، وبأسلوب فني جميل استطاع أن يربط بينهما ويجعل الذاكرة تستحضر شخصية مهمة في تاريخ تحرير القدس وفي تاريخ الجزائر.

يصف لنا الكاتب ما حدث لبطلة الرواية "مي" بدّقة حين يبدأ بسرد ما وقع لها منذ بداية مرضها ويبدأ بتذكر أحداث الماضي من خلال الراوي المتمثل في شخصية الإبن "يوبا". يتذكر "يوبا" يوم رافق "مي" عندما قررت التأكد من مرضها الخبيث الذي كان في مرحلة متقدمة، فشعر بأنه يفتقدها كان ظنه أن يشبع من أمه، فكان يكثر من زيارتها، " أفكر فيك يا يّما، وأشتاق أن أراك تجلسين في الشرفة وأنت تشربين القهوة العربية التي تذكّرك بأجدادك ومدينتك " (الأعرج، 2009، ص 125)، كان كل يوم يثير شوقا لزيارة قبر أمه "مي" يتذكر ما قالته له وهي تبحث عن نقاوة قلبها لكي ينسيها ما عاشته من آلامها الداخلية الباطنية.

"تساءل كيف لم يعرف طوال هذا الزمن أنّ مي كانت كلّما رسمت، أو حتى كلّما تكلمت، تتألم وتتمزّق. كلّ سنوات عمرها لم تحادث إلاّ بياض اللوحة والألوان ونزيفها وذاكرتها الجريحة والمقطعة إلى آلاف الأجزاء الصغيرة التي كان يصعب عليها لّمها. كلّما رقعتها من جهة، تمزّقت من الجهة الأخرى" (الأعرج،2009، ص31).

يسترجع "يوبا" ذاكرة كل اللوحات التي رسمتها "مي" والتي تعد مثابرة لتأكيد المحيط الذي أنفلت من بين أصابعها، تفوقت عليها ألوانها المميزة الرمادي الأصفر والأحمر التي تحجب من وراءها سحاب المدينة القديمة، التي تشبه القدس بقبيها وكنائسها والتي لا تكاد أن تنكشف، فالزمن الذي مضى حولها إلى أشباح يجري نحو الموت. اللوحة المعنونة ب "نيويورك هسهسة الأوراق الميتة"(الأعرج، 2009، ص 102)، فقد عبرت من خلالها عن اشتياقها لأرضها التي لم تراها إلا في الحلم أرضها الطيبة المقدسة، أرض توقرَ فيها كل الناس يتحدثون لبعضهم البعض بدون خوف، و هي لوحة تعبر عن كل موجز المأساة التي عانتها "مي".

خروج "مي" من النار والموت والدمار الذي كان في فلسطين، فلقد أنقذها والدها من الهاجاناه لكن في مقابل الصهيونية ذبحت أهلها بما فيهم أمها " يوه..... يا يوبا أنت تستفيق في شيئا حزينا. طفولتي لم تقتل يوم مقتل أمي التي كنت أحبها بجنون، ولكن يوم عرفت الحقيقة وأنا في نيويورك، أمي بالنسبة لي، كانت حية وظللت أنتظر أن تلتحق بنا لأنها كانت كل شيء بالنسبة لي. كانت مقياسي في كل شيء. لم أذكر يوما أن والدي احتضنني كلما اشتهيت ذلك، ولكنها كانت الصدر الدافئ، كذبوا علي وأقنعوني بأني طفلة شجاعة وأن خروجي من نار القدس سينقذ والدي من مخاطر الهاجاناه. والدي كان يستحق أن أحميه من الموت. سألت عن أمي قالوا ستلحق بنا مباشرة. (الأعرج، 2009، ص 112).

كانت خالتها "مامي دنيا" هي كل شيء في حياة "مي" فقد أنستها موت أمها "ميرا" القاسي الذي ظل محصورًا في حياتها، حتى جينا ويوسف وخالها الكبير والصغير أخذتهم المحرقة. خالها الكبير مات بتهمة التعامل مع الإنجليز، قبض على خالها غسان من طرف الشرطة الأردنية باعتباره الرأس المدبر وأخبار أخرى تقول أنه هرب إلى الأردن والتحق بمنظمة سبتمبر الأسود. لم تعرف أخته مامي بذلك إلا عندما سمعت باسمه في قائمة

الذين خططوا لعملية تحويل إحدى الطائرات الإسرائيلية وتفجيرها قول آخر فيه: أنه اغتيل في السجن بعد محاولة هربه مع مجموعة من أصدقائه، وقيل أيضا أنه تم تسليمه في تبادل الأسرى بين الأردن وإسرائيل وبعدها مات تعذيبًا، وكل الأخبار أجمعت على اغتياله (الأعرج، 2009، ص 201). كانت "مي متعلقة جدا بخالها فهو الذي ساعدها في الهروب من القدس والوصول إلى نيويورك حيث خالتها "دنيا" التي أصبحت بمثابة والدتها، فكانت تدعوها ب"مامي"، خالها غسّان الملقب ب "أبو شادي" دبّر حيلة لينقض والد " مي" (بابا حسن) كما كانت تدعوه "مي" طيلة سردها لذكرياتها، فأعطاها خالها وثائق مزورة بأن أسماها لينا ماركو ووالدها يونس ماركو، واستطاعت بذلك النجاة مع والدها، وكانت "مي" هي طوق النجاة لوالدها وإلا كان ليُقتل من قبل الصهاينة، لذلك نجدها تذكر ما حدث بحسرة كبيرة على فقدان أهلها، وندم والدها لتركه الأسرة وراءه والذين قتلوا، حزن عميق وحسرة كبيرة تجسدت من خلال سرد "مي" لتلك الأحداث المريرة في الرواية.

واسيني الأعرج من خلال هذه الأحداث يؤكد لنا الجرح الغائر والعميق لأبناء فلسطين، فأكبر حرقة يعيشها الإنسان يوم تنهب منه أرضه ولا يعود لها، عاش فيها طفولته ليموت فيها لكنه يغادرها مرغماً دون إمكانية العودة. فلقد كانت "مي" ترغب أن يبعثر رمادها بعد موتها على مياه نهر الأردن، وفي أحياء القدس وعلى قبر أمها وأخيها وأخوالها وشقيقها يوسف. يتذكر "يوبا" كيف أنه مدّ يده نحوها للمرة الأخيرة بعد أن نودي عليه من أعماق صالة الأوبرا، كان كل شيء قد انتهى.

الكاتب يأخذنا مرة أخرى من خلال اسم بطلة روايته إلى زمن بعيد من تاريخ الجزائر حين تتذكر "مي" سبب تسميتها بهذا الاسم وأنها حملت عدّ أسماء، " عندما قيل له سميناها مي، قال: مريم، نِعم الأسماء، ثم ركض نحو البلدية وسجّلني باسم لم ينادني به أحد بعد وفاته. خالي غسان سمّاني صافو بالاتفاق مع والدي، تبرّكا بامرأة نبتت في أرض أجدادي الأوائل من البربر والفينيقيين، كان اسمها سوفونيسبي Sophonisbe، تقاتل عليها الملك النوميدي ماسينيسا وغريمه سيفاكس، قبل أن يسحل الأول الثاني عند بوابات سيرتا، استرضاءاً لروما. اختارت صافو، كما كان يناديها خالي فراش سيفاكس لأنه كان الحلقة الأصدق والأضعف والرافض للاحتلال الروماني. عندما سُرق منها حبّها الأول بقوة السيف، انتحرت بين يدي ماسينيسا خوفاً من أن يتزوجها أو يسلمها لروما كعقاب لرفضها له" (الأعرج، 2009، ص 171). بالإضافة إلى هذه الإشارة من الكاتب إلى تاريخ الجزائر ، نجد أنّ "مي" ذكرت شخصية فنية مهمة وهو "محمد إيسياخم والذي التقت به في أحد المعارض الفنية .

تستمر "مي" في سرد ذكرياتها في كراستها النيلية بكل ما يحتوي على أحداث عاصفة مأساوية، تتذكر يوم الثلاثاء "29 نوفمبر 1947"، استيقظت مدينة الله على جرح الموت، عندما قرروا تقسيم فلسطين، وقبل شهر أتذكر حالة الحزن التي كانت تملأ الوجوه، وزعت الوكالة اليهودية يومها منشورا على سكان المقدس العربي تقول لهم أن لا يردوا على زعمائهم من العرب، فلكل له مصلحة وأن ينضموا ويسيروا معهم لتعمير البلاد من كل وجهة. وفي «4 مارس" أسقط اليهود ثلاث قنابل حارقة على مخازن في شارع مأمن الله. كان انفجارا قويا هدم بعض من العمارات (الأعرج، 2009، ص 145).

يروي الكاتب قضية مهمة تتمثل في استرجاع لقصة أخرى للانتداب البريطاني على فلسطين "15 مارس 1948"، حيث أبلغوا الإنجليز نهاية الانتداب وسلموا كل شيء "للهاجاناه" وفرحو الأهل وحمدوا الله على نهاية هذا الانتداب ظنا منهم أن الإنجليز عزموا على مغادرة هذه البلاد، والسماح للعرب بإنقاذ الأرض المسروقة. لكن في الحقيقة الإنجليز باعتها للهاجاناه. ومن هنا تبدأ رحلة التدمير والقتل والنفي الفلسطيني من أرضه (الأعرج، 2009، الصفحات 145-146).

لقد أخذنا واسيني الأعرج إلى حدث زمني بعيد قليلا عن خروج الانتداب وهو بدايته، يذكر لنا أنه في سنة "1915" ضرب الأسطول البريطاني مدن الساحل الفلسطيني وتم تهجير مدن وقرى بما فيهم القدس، وبعث أبناء فلسطين إلى الموت (الأعرج، 2009، ص 176). وفي عام "1916" وقعت أحداث مؤسفة وظواهر اجتماعية، حيث بدأت المجاعة في لبنان بعدها في سوريا وفلسطين، وعمّ الفقر في بيروت حيث عثر على العشرات من الجثث المرمية تنتظر لتنقل وتدفن (الأعرج، 2009، ص177). بالإضافة إلى ظاهرة الجراد في عام "1918".

تعود الذاكرة ب "مي" إلى ذلك التاريخ الذي أنقذت فيه والدها بدون توديع أمها "على أن أتذكر التاريخ الذي سرق طفولتي في ذلك اليوم الغريب الذي خرجت فيه لأنقذ والدي بدون أن أودع أمي، قيل لي يومها أنها ستكون سعيدة عندما تعرف بأني أنقذت زوجها من الهاجاناه. في الوقت الذي كان القطار يخترق الجبال، والسيارة تقطع المسافات نحو بيروت، كانت المقابر تمتص آخر نفس في والدتي وتحرم أخي عليان من رؤية النور (الأعرج، 2009، ص 188).

ويستمر واسيني الأعرج بسرده لنا ما عاشته "مي"، التي راحت تسترجع بذاكرتها أحداثاً مهمة في حياتها، لم تمحها السنين الطويلة التي عاشتها في الغربة، تكتب في كراستها النيلية ما كان يخالجها وما تشعر به من أسى وحزن، ذكريات الطفولة تؤلمها ولكنها بحاجة إلى كتابتها لتتركها قبل أن تموت، تتركها لإبنها "يوبا"، تتذكر كيف كانت محفظتها الصغيرة مأمنها ومخبأ أسرارها كلما ذهبت نحوها أعانتها في إيجاد ما تبحث عنه. بينما هي تتمعن رسوماتها تذكرت حكاية جدتها وأمها «ميرا" عن وفاة أختها "لينا" (الأعرج، 2009، ص 199)، في الشهر السابع واليوم السابع والساعة السابعة.

ينتقل السارد إلى حروب تاريخية يحكيها بابا حسن لابنته "مي" يبرر لها صمته لموت والدتها. مجزرة " 9 أفريل" فقد أرادت القوات الصهيونية استغلال ما حدث في دير ياسين لتعظيم قواتها المنعزلة في القدس الشرقية على جبل المشارف، وفي "30 أفريل" اشتدت المعارك وانتهت لمصلحة "الهاجاناه" إذا تمكنت القوات اليهودية من احتلال حي "القطمون" (الأعرج، 2009، الصفحات 322_323).

تتذكر "مي" القدس وحارة المغاربة التي سرقت منها، وأنهم سيبقون غرباء عن وطنهم وصراخهم وجراحاتهم لم يسمعها أحدًا في قوله " هل تدرين ماذا أتذكر من هزيمة 67؟ لا شيء سوى حارة المغاربة التي سرقت منا وأبيدتْ ملامحها، لتصبح امتداد لحارة اليهود؟ لم نعد نملك شيئا من ذاكرتنا، تقودها الذاكرة نحو جرائم الحرب العالمية الثانية أكثر من نصف قرن وما يزال القتل والعداوة (الأعرج،2009، ص 473).

لم تخلو الرواية من أحداث الحرب العالمية الثانية، حين تتحدث عن شخصية الشيخ الحسيني الذي حارب الانجليز، وانتهى به المطاف في أحضان هتلر:" ترك صاحب السماحة لبنان في 30 مارس من سنة 1940 وسافر إلى إيران ثم تركيا، وبلغاريا قبل أن ينتهي به المطاف في أحضان هتلر. في 08 مارس من سنة 1945 هرب من

ألمانيا إلى سويسرا، فأرجعته مكبلاً إلى ألمانيا. لم يخف ابداً إعجابه بهتلر الذي كان فرصة نجاة لفلسطين من مخالب الحلفاء" (الأعرج، 2009، الصفحات 41-42).

يرجع بنا الكاتب من خلال "مي" إلى الحاضر حين تسرد لنا عن تذكرها يوم استلام نتائج تحاليل مرضها وخوفها من الدخول لمستشفى نيويورك المركزي حينها أحست بالموت الذي كان قريبا منها، أرادت الذهاب نحو الأرض التي اشتاقت إليها. رغبت في زيارة مدينة جدها الرحيل نحو الأندلس. فقرأت لمسالك جدها وأسفه على حروب الطوائف، تمنت أن تقرأ شجرة العائلة لكنها كانت حيث الأرض المسروقة، كان ينتابها شعور أنّ التاريخ يدور في ملتقى فارغ بحيث البشر ينتهي على حقائق مزيفة (الأعرج، 2009، ص419).

لقد استحضر واسيني الأعرج قضية طرد الموريسكيين من قبل فليب الثاني،" لم يكن قرار طرد الموريسكّيين الذي اتّخذه فليب الثاني بعد انتفاضة البشرات، طيّباً ولا عاقلاً. أبو عبد الله سلّم المدينة والمفاتيح وانزوى إلى حضن أمّه يبكي مجداً ضائعاً. لم يتح لسكانها فرصة الدفاع عن مدينتهم الأخيرة، التي سُلّمت لإزابيلا وفرديناند مقابل سلامة الحاكم الذي وقف حائراً ومرتبكاً، على هضبة زفرة الموريسكي الأخير..." (الأعرج، 2009، الصفحات 419-420)، تتحدث "مي" عن هذه الحقبة بحصرة كبيرة، متأسفة على مجد ضاع.

كانت تريد أن تكتشف مدينة قدم إليها أجدادها ولا تعرف عنها شيء" لا أريد أن أذهب وفي ذاكرتي شيء جميل كان يمكن أن أفعله ولم أفعله. جدي الأول هو ذاكرتي، ولا يمكنني اليوم أن أعيش بلا ذاكرة (الأعرج، 2009، ص 427)، جدها الروخو لم يكن شخصية مألوفة كما سمعت من عند بابا حسن، يريدون معرفة مكان مخطوطته، فكان يريد دفنها في ذاكرته.

المرض بالنسبة لها حالة كآبة تصيب المرء، فأشياء غامضة تذكرها بهذا المرض الذي قتل نصف العائلة بما فيهم خالتها "دنيا"، كلما رد إليها الألم تراجعت إليها الذاكرة نحو بياض الموت، "يوبا" كان يريد أن يسمعها من السوناتا التي استعصت عليه نهايتها، كانت تسمع وتنظر إليه، ليلتها رأت خالتها وهي تلبس الأبيض وظلت بين عينها إلى أن أكملت مهمة ترتيب المعرض، إذا تذكرت وجهها.

فكانت المحرقة والرماد هما اختيارها بعد موتها " لا أريد من "يوبا" أن يظل على ذكرى تعذبه كلما تحسسها. أو أن يترك نفسه عرضة لنهش الأشباح القلقة. أفضل أن يرمي رمادي في الأمكنة التي بقيت في القلب، ويحتفظ بقليل منها في أقرب مقبرة إليه لكي يتذكر قليلا أني هنا. وأنّ شيئاً فيّ لا يموت ويحرسه عن قرب، وأنه بإمكانه أن يزورني عندما تتكاتف عليه مشقات الدنيا وأحزانها. (الأعرج، 2009، ص 472).

تذكر "مي" في إحدى صفحاتها تساؤلها وهي ما زالت طفلة عن سبب ما يحدث لهم من تهجير وقتل، فوجهت سؤالها لوالدتها: "-ما قتلناهم يا مامي؟ ليش بيقتلونا؟ ليش ما راحوا لبلد ثاني وليفعلوا ما يشاؤون فيه؟ أرض الله واسعة. ليش فلسطين تحديداً؟ فتجيبها والدتها عن السبب: -هذه يا حبيبتي قصة أخرى. حاولوا وما طلع معهم شيء؟ مين اللّي يرضى يسلّم في بلده؟ فكروا في استعمار أمريكا الجنوبية،.....وعندما كان جوزيف تشمبرلين في منصب وزير خارجية...فكر في منح اليهود أراضي خصبة وجيدة في شرق إفريقيا...فكان وعد بلفور المتعاطف مع اليهود بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين" (الأعرج،2009، الصفحات 302-303). وهذا استحضار لحقبة تاريخية لما بعد الحرب العالمية الأولى والخطط التي كانت تحاك ضدّ العرب والمسلمين، فكان لهم أن سقطت فلسطين وحدثت النكبة.

كانت لا تريد أن تغادر هذه الدنيا إلا أن تستمتع بلذة القرن القادم الذي تذكرت أنه لم تبق له إلا أيام. توسدت ذاكرتها ومدينتها التي سرقت منها وتريد أن تنام، والساعة تزحف نحو نهاية القرن، أغلقت عينيها لتفادى الضوء، سمعت مناداة الموت ورنين أجراس الكنيسة في المدينة القديمة، وأصوات الألعاب النارية في شوارع نيويورك تستقبل عاما جديدا، فجأة يتحول كل شيء إلى ألوان داكنة ذكرتها بأنّ عليها أن تتوقف عن التدوين والدنيا والتحدث.

ذكّرنا الكاتب بعدة مجازر ارتكبها اليهود في حق الفلسطّنيين لترهيبهم كمجزرة دير ياسين، وجاء ذلك في عدّة صفحات من الرواية، " كلّ شيء كان ينظر بكارثة صارت اليوم مؤكّدة، لم تقض معركة دير ياسين التي انتهت إلى مجزرة 9 أفريل ولا سقوط حيفا، على روح المقاومة العربية في القدس. فقد حاولت قوات الهاجاناه استغلال ما حدث في دير ياسين لتعزيز قواتها المعزولة..."(الأعرج،2009، ص320).

ووصف الكاتب أيضاً وحشية اليهود في حربهم مع العرب بقتلهم وتهجيرهم من القرى والمداشر وحتى الأحياء العربية في المدن وأهمها أحياء من مدينة القدس، "إذ تمكنت القوات اليهودية هذه المرّة من احتلال حيّ القطمون، ومنه انطلقت لاحتلال الأحياء العربيّة."(الأعرج،2009، 321)

وهذه الأحداث جاء تعلى لسان "مي" وهي تتحدث مع والدها "بابا حسن" كما تنايه الذي روى لها أحداثاً تاريخية مهمة في تاريخ احتلال فلسطين. والذي كان يروي لها كيف أنه نجا بأعجوبة من الإنجليز وفرق الهاجاناه.

كما يذكرنا كاتبنا بمأساة السيد المسيح حين تُقدم "مي" وصفاً لوالدتها "أمي كانت مثالية. أرى في وجهها أحياناً علامات سيّدنا المسيح وخيباته وشجونه وآلامه الصامتة، بحرائقها التي لا تنتهي، وأرى فيها مأساة السيدة العذراء التي تمنت، وهي ترى ابنها معلّقا على خشبة، أن تلثمه وتضمّه إلى صدرها للمرّة الأخيرة، لأن {ه لم يمنحها فرصة فعل ذلك عندما كان حيّاً وحرّاً." (الأعرج، 2009، ص 342)، والدتها التي كانت تحب الحياة وترى النور من خلال أقربائها وخاصة زوجها "حسن".

أثناء زيارة بطلة روايتنا إلى عمان أحست بحرقة أنها لم تتمكن ولا تستطيع زيارة "القدس"، لأنّ من تريد زيارتهم هم في القبور، جاءت إلى الأردن فقط لتشمّ رائحة وعطر بلدها الضائع.

" في أعماقي، تمنيت لو لم آت إلى عمّان... في المطار سألني الشرطي وهو يقرأ جواز سفري: "مي"... فلسطينية؟ أجبته بلا تردّد: أمريكية. نظر إليّ بعينين حادّتين: أسألك عن أصلك. فقلت: أمريكية. ولا أدري إذا ماكنت أنتقم منه أم من نفسي. أمريكية. نعم؟ تلك أرضي ولا أعرف غيرها.... أم أني كنت أعبّر عن صراخ ظلّ مدفوناً في أعماقي وعن نداءات لم يسمعها أحد؟ لما أخرجتم السكّان من القدس وقلتم لهم بأنّ طلائع جيش الإنقاذ ستقوم بتطهير المدينة من اليهود ثم تعيدها لكم؟ بدل أن تطهّروها من القتلة رحتم تفتكون بالناس باسم الدّين. في الأخير، سلّموكم الضفّة الغربية، فحللتم جيش الإنقاذ، وعاد كل فيلق إلى بلده بضمير مرتاح، وأنّه قدّم ما عليه، ليش؟ ليش؟ فوجئ شرطي الحدود بتمتمتي." (الأعرج، 2009، ص387)

وهنا نلمس تذمراً لبطلة الرواية عن تخلي العرب عن فلسطين وتواطئهم مع اليهود أثناء النكبة، فحدث ما حدث، فالعرب (تقصد طلائع جيش الإنقاذ) لم يقوموا بواجبهم كما ينبغي.

كما يذكرنا الكاتب بحرب أ كتوبر سنة 1973، حين تتحدث "مي" عن إمكانية عودتها إلى الأردن مع زوجها "كوني"، علها تتمكن من دخول مدينتها المفقودة القدس،" الأمور الآن استقرّت. لم يعد أكتوبر إلا شهراً من الشهور

العادية ولم تعد سنة 1973 التي كانت قاسية، إلاّ سنة كغيرها من السنوات وعقد الصلح، ولم يعد هناك ما يمنع عودتي إلى البحر الميت والأردن" (الأعرج، 2009، ص396)

ذكر واسيني الأعرج شخصية مهمة في التاريخ الإسلامي وهو ابن خلدون، وذلك لما سردت لنا بطلة الرواية "مي" حرص جدّها الروخو الذي لم يكن شخصية عادية كما جاء على لسان والدها "بابا حسن" أنّ فقهاء محاكم التفتيش حرسوا على معرفة مكان المخطوطات السرية التي خبأها جدّها: "وكان يريد دفنها في قلبه وذاكرته لكيلا يراها أحد، خبّأها ولم يعد يعمل عليها إلاّ ليلاً قبل أن يفضي بالسرّ إلى الأوفياء إلى قلبه. فقهاء الزيف والظلام هم أول من باعه لمحاكم التفتيش...كان حزيناً أنه لم يتم ترجمة ونقل مخطوطته "فضل المسالك عن المهالك"... مخطوطة عن فلسفة الدنيا... ويقال أيضاً إنّ العلامة ابن خلدون أخذ منها الكثير ليغني مقدّمته العظيمة، لأنّ أحد باعة المخطوطات وضعها بين يديه صدفةً" (الأعرج، 2009، ص430)

كما تحدث الكاتب عن مدينة طليطلة وحياة المورسكيين ومعاناتهم مع محاكم التفتيش في الأندلس لما يذكر لنا حكاية الجدّ الذي حافظ بكل ما استطاع أ ن يحمي مخطوطاته من الحرق ومنه الزوال، جاء من خلال ذلك وصف لمدينة طليطلة أثناء حديث "مي" عنها : "كانت طليطلة نائمة داخل شعاع ذهبي، تسرّب دافئاً من وراء الستائر الخفيفة التي كانت تغطّي جزءاً من نوافذ الغرفة الواسعة، وكنت أستمع لأدّق النداءات المتأتيّة من بعيد، وأتساءل هل هي تأوهاتي أم صرخات جدّي الذي أكلته نار التفتيش المقدّس، أم آلام والدي الذي كانت سكاكين المشرحة تتوزّع كلّ ما كان ينبض في جسده المنسيّ؟"(الأعرج،2009، ص437).

لقد حاول واسيني الأعرج بسرده لهاته الوقائع التاريخية المهمة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، تذكر ما حدث والوقوف على آلام الشعب الفلسطيني، وأنّ الأشياء التي حدثت قد تشبه غيرها من الأحداث في الماضي، مثل سقوط الأندلس وتهجير المورسكيين، والاحتلال الروماني للجزائر، كما أنّ الكاتب استغل أسماء بارزة في التاريخ الجزائري والأندلس، وفي العالم في التاريخ المعاصر كهتلر وبعض الشخصيات البارزة أثناء الحربين الأولى والثانية.

4. الخاتمة

لقد توصل بحثنا حول الذاكرة والتاريخ في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس واسيني الأعرج إلى جملة من النتائج أهمها:

- رواية سوناتا لأشباح القدس رواية تاريخية قدمت فترة الصراعات التي عاشتها فلسطين في فترة النكبة، الأندلس من خلال استحضار ذاكرة البطلة لأغاني أندلسية كانت قد سمعتها في بيت جدها عندما كانت طفلة.

- الغرض من توظيف الذاكرة والتاريخ في الرواية هو فهم الواقع ومحاورته في ضوء الماضي من أجل حضور الجديد في الرواية.

- تعتبر الذاكرة جزءًا مهم في الرواية حيث أحسن واسيني الأعرج توظيفها من خلال بطلة الرواية التي استحضر من خلالها طفولتها المسلوبة ومدينتها الضائعة (القدس).

- توظيف واسيني الذاكرة والتاريخ في الرواية وحرصه الشديد بالمادة التاريخية، حيث أنه ذكر أحداثاً مهمة كأحداث النكبة، وأحداث الحرب العالمية الثانية بذكره للقائد هتلر وخوف اليهود من وصوله إليهم، حتى أنّ بعض العرب تعاطفوا معهم من بينهم والد بطلة الرواية "مي"، كانت الأحداث التاريخية المحور الأساسي للرواية.

- سرد الروائي واسيني للذاكرة والتاريخ في الرواية أكسبها وظيفة جمالية وفنية. فالتواشيح الفني الذي جمع التاريخ بالرواية، ما هو إلا وسيلة اتخذها الفن الروائي للوصول إلى واقع المجتمعات، حيث كشفت روايات واسيني الأعرج عن ظاهرة الالتزام لدى الروائي اتجاه القضايا الوطنية بالجزائر، وفي رواية سوناتا لأشباح القدس وضحت التزام الروائي بقضايا الأمة العربية والإسلامية (فلسطين والأندلس)، وهذا لارتباط الروائي الوثيق بالقضايا التاريخية لأمته، فقدم لنا رواية تقصى من خلالها الحقائق التاريخية، وحاول إيصال تلك الحقائق ومعالجتها بطرق فنية، جعلت من الرواية تتسم بطابع جمالي مع إثارة جانب التشويق باستحضار الذاكرة الفردية والجماعية.

5. قائمة المصادر والمراجع:

-بوجمعة بوحفص. (2021). الرواية والتاريخ وإشكالية التداخل. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مجلد 10/ عدد 2/ ص: 506-520.

-شريّط سنوسي(2024). حضور تيمة التاريخ في الرواية الجزائرية المعاصرة. قراءة في نماذج روائية. مجلة أفانين الخطاب. المجلد 4/العدد01/ الصفحة 49-62.

-ليندة بورايو. (21 01، 2024). رهان الذاكرة والتاريخ وتداعياته على العلاقات الجزائرية الفرنسية من مساعي المصالحة إلى الازمة والتوتر. مجلة الجزائرية للأمن الانساني.

-محمد حبيدة. (2013). التاريخ والذاكرة. مجلة يتفكرون.

-محمد القاضي.(2008). الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي. ط1. دار المعرفة للنشر. تونس..

-واسيني الأعرج. (2009). كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس. ط1. دار الآداب. بيروت.

-Fatima Zohra Bouledroua.(03 Juillet 2022). Historique : défis personnels et enjeux multiples !, Le provincial.dz/ conférence de waciny laredj, le roman historique –défis personnels et enjeux multiples.

-Ibtissam Tebani. (Juin 2024). « Au vent Mauvaix de Kaouther Adimi : Une Interrogation de l'éthique de la littérature et une cohésion historique et fictionnelle ». Akofena/ Varia n°12, Vol.4/ CC BY4.0.(107-116), p. 112-113.

-Lynda-Nawel Tebbani-Alouache.(2014). Le nouveau roman algérien : entre la mémoire de l'événement et la fable du récit. Naissance d'une nouvelle poétique. Université Lyon. France. Ouvrages du CRASC. https://www.ouvrages.crasc.dz.

-Nora, Pierre.(1984). « Entre mémoire et histoire » dans Nora Pierre. Les lieux de la mémoire. Tome 1. La République. Paris. Gallimard. p. 674.

-Paul Ricoeur.(1983). Temps et récit. L'intrigue et le récit historique. Éd. Seuil. Paris.

-Sarra Amina. (2022/2023). « L'impact de l'Histoire et de la mémoire sur le présent des personnages dans Printemps de Rachid Boudjedra ». Mémoire de fin d'études en vue d'obtention de master en langue Française. Université d'Ain Témouchent. Faculté des lettres. Langues et Sciences Sociales. Département des Lettres et Langue Française. p.16.